الضمير بين العربية ولهجاتها والعبرية

ـ دراسة مقارنة ـ

● الأستاذ الدكتور: عصام الكوسى ● الأستاذ الدكتور: وحيد صفيه

● عدي العقدة

الملخص

للضمائر في اللغة وظيفةٌ خاصةٌ، ومن أجلها وجدت في الاستعمال اللغوي، وهذه الوظيفة ـ لأهميتها ـ استلزمت بقاءَ الضمائر، ودوامَ استعمالها بدوام اللغة. وقد كانت الضمائرُ في اللغة العربية محلَّ اهتمامِ النُّحاة واللغويين العرب القدامى، الذين بحثوا في طبيعتها ودلالاتها واستعمالاتها، كما بحثوا في تعريفها وعددها وذِكْرِ ما يتصلُ وما ينفصلُ منها، بيد أنَّ اللغويينَ العرب لم يصلوا إلى نتائج شافية يمكن الرّكون إليها في الإجابة عن هذه التساؤلات؛ ولعلَّ السببَ في ذلك يعود إلى اقتصار دراستهم على اللغة العربية وحدها، وإغفالهم المقارنة مع لغاتٍ ساميةٍ أخرى؛ الأمر الذي انعكس سلباً على النتائج التي توصلوا إليها. انطلاقاً من ذلك جاء بحثنا هذا عن الضمير في اللغة العربية ولهجاتها ـ دراسةً مقارنة مع اللغة العبريّة، التي تُعَدُّ من أقرب اللُّغاتِ السَّاميّة إليها من حيث استخدام الضمائر، وذلك لما لمسناه من التقارب الكبير بين الضمائر في هاتين اللغتين، علَّنا نحصلُ على إجابات شافيةٍ لبعض التساؤلات الكثيرة التي أُثيرت حول الضمير في اللغة العربية.

الكلمات المفتاحية: العربية ولهجاتها، الضمير، التأثير، اللهجات العبرية، دراسة مقارنة.

● الكوسى، عصام، أستاذ النحو والصرف، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم اللغة العربية، جامعة البعث، حمص ـ سورية

● صفية، وحيد، أستاذ اللغات السامية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم اللغة العربية، جامعة تشرين، اللاذقية ـ سورية

● العقده، عدي، طالب دكتوراه ، قسم اللغة العربية ـ اختصاص لغويات ـ جامعة البعث ـ حمص ـ سورية

The conscience between Arabic and its dialects and Hebrew - a comparative study

● Issam Al-Koussa ● Wahid Safiea ● Odai Al-Okdah

Summary

The pronouns in the language have a special function, and for this reason they were found in the linguistic use, and this function - due to its importance - necessitated the survival of the pronouns, and the permanence of their use throughout the language. The pronouns in the Arabic language were of interest to ancient Arab grammarians and linguists, who researched their nature, implications and uses. They also searched for its definition and number, and mentioned what is connected and separated from it, but the Arab linguists did not reach satisfactory results that could be reassured in answering these questions. Perhaps the reason for this is due to the confinement of their studies to the Arabic language alone, and their omission of comparison with other Semitic languages.

This negatively affected their results. Proceeding from that, our research on pronouns in the Arabic language and its dialects came as a comparative study with the Hebrew language, which is considered one of the closest Semitic languages to it, because of the great rapprochement between the pronouns in these two languages, so that we might get satisfactory answers to some of the many questions that were raised about Pronoun in the Arabic language.

Keywords: influence, conscience, Arabic and its dialects, Hebrew, a comparative study.

● Professor of grammar and morphology, Faculty of Arts and Humanities, Department of Arabic Language, Al-Baath University, Homs – Syria.

● Professor of Semitic Languages, Faculty of Arts and Humanities, Department of Arabic Language, Tishreen University, Lattakia – Syria.

● PhD Student, Department of Arabic Language - Majoring in Linguistics - Al-Baath University - Homs – Syria.

مقدِّمة:

إنَّ التعريف الاصطلاحي المشهور للضمير في اللغة العربية هو أنَّه " ما وُضِعَ لِمُتَكَلِّمٍ أو مخاطبٍ، أو غائبٍ تقدَّمَ ذكرهُ لفظاً أو معنىً أو حُكماً" [1]. وفي اللغة العبرية يُعَرَّفُ الضميرُ بأنَّه: كلُّ كلمةٍ يمكن أنْ تَحُلَّ مَحَلَّ اسم الذَّات وترمزُ إليه.[2] وربَّما لهذا عُدَّت أسماءُ الاستفهام والإشارة والاسم الموصول من الضمائر في اللغة العبرية، وليس الأمرُ كذلك في اللغة العربية. وفي تحليله لهذه الظاهرة في اللغة العبرية، وإنْ كان ثمَّةَ ما يماثلها أو يشير إليها في اللغة العربية، يقول الدكتور ربحي كمال: " ويطلق على الضمير اسم הַכִּנּוּי ، ويقابله في العربية " الكناية"، وهي تسميةٌ مألوفةٌ لدى بعض النحاة العرب، لا سيما النُّحَاةُ الكوفيون[3]، فالضميرُ لا يعدو أنْ يكونَ كنايةً عن الاسم الظاهر، إلاَّ أنَّ لفظة כִּנּוּי تطلق بوجه خاص على ضمائر النصب والجر المتصلة "[4]. ومهما يكن من أمر فإنَّ مصطلح المضمرات أو الضمائر هو الذي ساد، وأمَّا مصطلح المكني أو الكناية فقد انحاز لأداء المفهوم البلاغي المعروف.

---

(1) – الرضي الأستراباذي (ت:688هـ)، شرح الرضي على الكافية، تحقيق: يوسف حسن عمر، منشورات: جامعة قار يونس، بنغازي، ليبيا، الطبعة الثانية، 1996م، ج2/ 401.

(2) – يُنظر: الصواف، محمد توفيق، اللغة العبرية، منشورات كلية الآداب ـ جامعة دمشق، 2004 ـ 2005م، ص 233.

(3) ـ ابن هشام الأنصاري، جمال الدين بن يوسف بن أحمد بن عبد الله (ت: 761هـ)، شرح شذور الذهب، نشر: دار الفكر، بيروت، لبنان، (د.ت)، ص 134. **(وأقول: أنواع المعارف ستة: أحدها المضمر، ويسمَّى " الضمير" أيضاً، ويسمّيه الكوفيون: " الكناية" والمكني)**. ابن هشام، شرح شذور الذهب، ص 134. ويقول ابن يعيش في المفصَّل: **(لا فرقَ بين المضمر والمكني عند الكوفيين فهما من قبيل الأسماء المترادفة فمعناهما واحد وإنْ اختلفا من جهة اللفظ، وأمَّا البصريون فيقولون المضمرات نوع من المكنيات، فكلُّ مضمر مكني، وليس كل مكني مضمر، فالكنايةُ إقامة اسم مقام اسم توريةً وإيجازاً)**. يُنظر: ابن يعيش، شرح المفصّل، عالم الكتب، بيروت، (د. ت)، ج3/ 84.

(4) – كمال، د. ربحي، دروس اللغة العبرية، منشورات جامعة دمشق، الطبعة السابعة، 2007/2006م، ص 139، الحاشية رقم(1).

أهمية البحث وأهدافه:

لفتت ضمائرُ العربيةِ النُّحاةَ واللغويين العربَ القدامى ، فسجلوا استعمالاتها وحكموا بالصحة أو الخطأ عليها، واشتغلوا بالبحث في طبيعتها ودلالاتها. ومن ذلك بحثهم في أصل ضمير المتكلِّم المفرد(أنا) هل ألفه أصل أو زائدة؟ وفي ضمير المخاطب (أنتَ) هل تاؤه اسم أو حرف؟، وفي ضمير الغائب(هو) هل واوه أصل أو زائدة؟ وفي تعريف الضمائر وعددها وذكر ما يتصل وما ينفصل منها، إلى جانب مسائل كثيرة تتعلَّقُ بها متفرِّقةً في أبواب النحو. ولكنَّ الباحثَ المعتمدَ على المنهج اللغوي المقارن يجدُ بعضَ التقصير في دراسة القدماء للضمير، أو وربَّما يجد أحياناً نتائج غير صائبة، ومردُّ ذلك يعود إلى انحصار دراستهم في اللغة العربية وحدها، وإغفال المقارنة مع لغاتٍ ساميةٍ أخرى، ولو فعلوا ذلك لعائد على اللُّغة العربيّةِ بالنَّفع الكبير. وهنا يحضرني قولٌ للدكتور صبحي الصَّالح في كتابه "دراساتٌ في فقهِ اللُّغةِ" يلخِّصُ فيه ما ذهبنا إليه، إذ يقول: " وفي دراسة لغتنا العربية أَعْظِمْ بالباحث إذا كان مُلِمَّاً ببعض اللُّغاتِ السَّاميّة كالسريانيّة والعبريّة، فبهذا الإلمام يُلاحِظُ مواطنَ التقاربِ والاختلافِ، والأخذِ والقياس". ([1])

منهجية البحث:

إنَّ المنهجَ المُتَّبَعَ في بحثنا هذا هو المنهجُ اللغوي المقارنُ، الذي يقومُ على المقارنة بين لغتين تنتميان إلى أسرةٍ لغويةٍ واحدةٍ هي أسرة مصطلح اللغات السامية. والقرابة بين هاتين اللغتين ليست، اليومَ، بحاجةٍ إلى جهودٍ كبيرةٍ لإثباتها، إذْ تأكَّدَ التشابُهُ بينهما من جميع النواحي: الصوتيةِ، والصرفيةِ، والدلاليةِ، والمعجميةِ. وقد أثمرَ تطبيقُ هذا المنهج في القرنين الماضيين ثمراتٍ عظيمةً، وأصبحنا نقفُ في كثيرٍ من المسائل فيها على أرض ليست هشَّةً. وفي بحثنا هذا تؤدِّي المقارنةُ اللغوية، بين العربية ولهجاتها والعبريّة إلى توضيح حقائقَ لم يكن بالإمكان الوصولُ إليها لو أنَّ هذه الدراسةَ اقتصرت على لغةٍ واحدةٍ فقط، الأمرُ الذي يجعل النتائجَ والأحكامَ أكثرَ شموليةً واتّسَاعاً ودقَّةً.

([1]) – الصالح، د. صبحي، دراسات في فقه اللغة، نشر: دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة عشرة، 1379هـ/ 1997م، ص 21.

اعتمدت اللُّغةُ العبريّةُ في تقسيم الضمير إلى:

● ـ **ضمائر بارزة:** وهي التي لها صورة في التركيب نطقاً وكتابةً.

● ـ **ضمائر مستترة:** وهي التي ليس لها صورة في التركيب لا نطقاً ولا كتابةً.

كما حذت اللغةُ العبريةُ حذوَ اللغةِ العربيةِ في تقسيم الضمائر البارزة بحسب اتصالها بالكلمات أو عدمه إلى قسمين:

1 ـ ضمائر منفصلة: وهي ضمائر رفع، ونصب. **2ـ ضمائر متصلة:** وهي ضمائر رفع، ونصب، وجر.

3 ـ ثمَّة نوع ثالث للضمير في كل من اللغتين العربية والعبرية، وهو **ضمير الشأن**، وهذا الضمير يَلْزَمُ الإفرادَ والغيبةَ، ويخالف سائر الضمائر في أنَّه لا يُعطف عليه، ولا يؤكَّد، ولا يُبدلُ منه، ولا يتقدَّم خبره عليه، ولا يُفَسَّرُ إلاَّ بجملةٍ خبريةٍ، ولا يقومُ الظاهرُ مقامَهُ وجملتُهُ المفسَّرة لها موضعٌ من الإعراب.[1] وسيأتي الحديث أولاً عن ضمائر الرفع المنفصلة في كل من العربية والعبرية وفق الآتي:

1 ـ ضمائر المتكلِّم: المفرد والجمع. 2 ـ ضمائر المخاطب: المفرد والجمع. 3 ـ ضمائر الغائب: المفرد والجمع.

أولاً ـ الضمائر المنفصلة:

الضمير المنفصل هو ما يمكن أنْ يستقلَّ بنفسه نُطْقَاً، ولا يحتاجُ إلى كلمةٍ أخرى يتصلُ بها.[2] وقد سُمِّي الضمير المنفصل كذلك لانفصاله عن الفعل وتقدُّمه عليه... فصار بانفصاله بمنزلة الاسم الظاهر.[3] والضمائرُ المنفصلةُ على ضربين من حيث

(1) ـ يُنظر: يعقوب، د. أميل بديع، موسوعة النحو والصرف والإعراب، نشر: دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1384هـ/2005، ص 427، هامش رقم(2).

(2) ـ يُنظر: عيد، محمد، النحو المصفَّى، نشر: مكتبة الشباب، القاهرة، مصر، 1980، ص 140.

(3) ـ يُنظر: ابن جني، أبو الفتح عثمان(ت: 392هـ)، كتاب البيان في شرح اللُّمَع، أملاه الشريف عمر بن إبراهيم الكوفي (ت: 529هـ)، دراسة وتحقيق: علاء الدين حموية، دار عمار للنشر والتوزيع، عمان، الطبعة الأولى، 1423هـ/ 2002م، ص 327.

الموقع الإعرابي: ضربٌ مختصٌّ بالرفع، وضربٌ آخر مختصٌّ بالنصب. [1] وهذا التعريف والتقسيم ينطبق على اللغة العبرية أيضاً.

أ ــ ضمائر الرفع المنفصلة، وهي: ضمائر المتكلّم:

1ـ المفرد (أَنا):

عبَّرت اللُّغةُ العربيّةُ عن المتكلِّم المفرد بصيغة الضمير(أَنَا)، وهذا الضمير يستعمل للمتكلِّم وحده ذكراً كان أو أُنثى.[2] وهو بهذا لا يخالفُ نظيره في اللغة العبرية (אֲנִי = أنا) إلاَّ في أنَّ الضمير (أَنَا) في العربية مفتوح النون بفتحة طويلة هي الألف، أمَّا الضمير في العبرية فهو مكسور النون بكسرة طويلة صريحة (חִירִיק גָּדוֹל).

ومما تجدر الإشارة إليه هنا أنَّ اللغة العبريّة تعرف صيغةً أخرى للضمير(أَنَا)، وهي صيغة (אָנוֹכִי)، وهذه الصيغة مأخوذة ـ كما يرى الدكتور ربحي كمال ـ عن (أناكو) وهي ضمير المتكلِّم المفرد في اللغة الآشورية. [3] ويرى الدكتور السيد يعقوب بكر أنَّ الصيغة العبرية القديمة لضمير المتكلِّم المنفصل (אָנוֹכִי) مكوَّنة من (אֲנִי + כִי)، والجزء الثاني (כִי) ربَّما أُضيف لتقوية الضمير، وربما جاءت قياساً على تاء الخطاب في ضمير المخاطب، فكما أنَّ التاء بعد(أَنْ) تدلُّ على المخاطب في(أَنْتَ) كذلك تدلُّ التاء على المتكلِّم. [4]

أمَّا الفرق بين الصيغتين (אֲנִי) و(אָנוֹכִי) في العبرية، فهو: أنَّ الصيغة الأولى أكثر وروداً، كما أنَّها أحدث، فهي تشيع في الأسفار المتأخرة من التوراة، بينما تشيع الصيغة الثانية(אָנוֹכִי) في الأسفار القديمة.[5] من جهة أخرى نجد أنَّ الصيغة (אֲנִי) أقرب إلى صيغة الضمير (أني) بالياء، التي يشيع استعمالها في بعض اللهجات العربية العامية.[6]

---

(1) ـ يُنظر: ابن حني، أبو الفتح عثمان(ن: 392هـ)، اللمع في العربية، تحقيق: حامد المؤمن، عالم الكتب، مكتبة النهضة العربية، الطبعة الثانية، 1405هـ/ 1985م، ص 160.

(2) ـ يُنظر: ابن حني، أبو الفتح عثمان(ن: 392هـ)، اللمع في العربية ، ص 327.

(3) ـ يُنظر: كمال، د. ربحي، دروس اللغة العبرية، 140، هامش رقم (1).

(4) ـ يُنظر: بكر، السيد يعقوب، دراسات في فقه اللغة العربية، نشر: مكتبة لبنان، بيروت، 1969م، ص 43.

(5) ـ يُنظر: المرجع السابق، ص 43.

(6) ـ يُنظر: جبر، محمد عبد الله، الضمائر في اللغة العربية، نشر: دار المعارف، مصر، الطبعة الأولى، 1980م، ص 24.

وإذا ما عدنا إلى الضمير (أنا) في العربية نجد أنَّ ثمَّةَ خلافاً بين البصريين والكوفيين حول ألف المد التي تأتي في نهايته، فالكوفيون يرون أنَّ الألف بعد النون من نفس الكلمة[1].

أمَّا البصريون فيرون أنَّ الضمير هو في الأصل ألف ونون مفتوحة، والألف بعد النون (زائدة) يُؤْتَى بها في حالة الوقف لبيان الفتح؛ لأنَّه لولا الألف لسقطت الفتحة للوقف، فكان يلتبس بـ(أَنْ) الحرفية لسكون النون، فلذا يُكتب بالألف؛ لأنَّ الخط مبني على الوقف في الابتداء[2].

وهذا الخلاف بين الكوفيين والبصريين لا يمكن حَسْمُهُ إلاَّ من خلال مقارنة هذا الضمير في سائر اللغات السَّاميّة، إذ تُبَيِّنُ المقارنة أنَّ أكثر اللغات السَّاميّة تَمُدُّ فتحةَ النون، ذلك أنَّه بالاعتماد على الجدول الذي وضعه إسرائيل ولفنسون في كتابه " تاريخ اللغات السامية" ومن خلال مقارنته للضمير (أنا) مع اللغات السامية الأخرى، يتبيَّن أنَّ هذه اللغات تشترك في الهمزة والنون بالإضافة إلى صوت ثالث هو الألف في: الحبشية، والآرامية، والسبئية، والمعينية، والبابلي، والآشورية، والعربية، وهذا يعني أنَّ الحرف الثالث أصلٌ من نفس الكلمة؛ الأمر الذي يرجِّحُ مذهب الكوفيين[3].

من جهة أخرى يُذْكَرُ أنَّ بعضَ العربِ يُبدلون همزة(أنا) هاءً، فيقولون(هنا)[4]. وهذا مسوَّغ من الناحية اللغوية؛ لأنَّ مخرج الهمزة والهاء واحد عند سيبويه، وهو أقصى الحلق[5]. وإبدال الهمزة هاءً منسوب لقبيلة طيىء العربية، فقد روت لنا المصادر العربية عن طيىء أنَّهم كانوا يبدلون الهمزة هاء في بعض المواضع، فقد حكى ابن جني عن

(1) - يُنظر: الرضي الأستراباذي، شرح الرضي على الكافية، ج2/ 417.

(2) - يُنظر: المصدر السابق، ج2/ 416.

(3) - يُنظر: ولفنسون، إسرائيل، تاريخ اللغات السامية، نشر: مطبعة الاعتماد، القاهرة، مصر، الطبعة الأولى، 1348هـ/ 1929م، ص 9. و يُنظر: بكر، السيد يعقوب، دراسات في فقه اللغة العربية، ص 38.

(4) - الرضي الاستراباذي(ت:686هـ)، شرح شافية ابن الحاجب، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1402هـ/ 1982م، ج3/ 223 - 224.

(5) - يُنظر: سيبويه، أبو بشر عمرو بن قنبر، الكتاب، تحقيق: عبد السلام هارون، الناشر: مكتبة الخانجي بالقاهرة، بالقاهرة، 1408هـ/ 1988م، 4/ 433.

قطرب أنَّ طيئاً تقول: (هِنْ فَعَلْتَ) ويريدون (إنْ) فيبدلون. [1] وما حدث من قلب الهمزة هاءً هو في الحقيقة سَعْيٌ من لهجة طيىء نحو الأيسر، فنطق الهاء أيسر من نطق الهمزة، ولا تزال هذه اللهجة مستخدمةً في لغتنا الدراجة حتى اليوم، إذ كثيراً ما نسمعُ بعض العامَّة يقولون(هَنَا) وهم يريدون(أنا)، فلعلَّ هذا امتداد تاريخي للهجة طيىء أو هو هروب من صعوبة نطق الهمزة.

2ـ الجمع (نَحْنُ):

من خلال التحليل الصوتي للضمير(نَحْنُ) نجد أنَّ حركةَ النون الأولى هي الفتحة؛ لذا لو بني هذا الضمير على الفتحة، لتكرَّرت الفتحةُ على حرفين متماثلين، يفصلُ بينهما حرفٌ ساكن في سياقٍ صوتي واحد، وبالتالي فضَّلت اللغةُ الابتعاد عن هذا التكرار فلجأت إلى المخالفة بين هاتين الحركتين ببناء هذا الضمير على حركة أخرى، وهي الضمة، ولم تسكِّن الحرفَ الأخيرَ؛ لأنَّ حركةَ الحرفِ الذي قبله(أي الحاء) ساكنة، ففرَّت اللغة من التقاء الساكنين، ولم تَبْنِهِ على الكسر؛ لأنَّ الضمير(نَحْنُ) لا يقع إلاَّ في موضع رفع، والضمةُ هي علامةُ الرفع.

وفي اللغة العبرية نجد صيغة الضمير(נַחְנוּ)، والبنيةُ الصوتيةُ لهذا الضمير تشبه البنية الصوتية للضمير(نَحْنُ) في اللغة العربية، فالنون الأولى محرَّكة بالفتحة القصيرة (البتاح) كما في العربية، والحاء ـ وهو الحرف الثاني ـ ساكن كما في اللغة العربية أيضاً، والفرق الوحيد بين الصيغتين العربية والعبرية هو أنَّ العبرية حرَّكت النون الثانية بحركة ضم طويلة(الشروق) في الوقت الذي قصَّرت اللغةُ العربيةُ الفصحى حركة الضم إلى الضمة القصيرة (ُ)، بيد أنَّ تحريك النون الثانية بالحركة الطويلة نجدها منطوقةً في بعض اللهجات العربية العامية(نَحْنو/ نحنا).

وتجدر الإشارة هنا إلى أنَّ العبرية تعرف صيغتين أخريين لهذا الضمير هما: אֲנַחְנוּ و אָנוּ [2] ولعلَّ الصيغة الأكثر استعمالاً من هذه الصيغ هي صيغة (נַחְנוּ) التي نجدها

(1) ـ يُنظر: ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى، 1990م، مادة(أنن).

(2) ـ يُنظر: أبو خضرة، زيد العابدين، قواعد اللغة العبرية، نشر: كلية الآداب، جامعة القاهرة، 1998م، ص 46.

تستعمل بكثرة في العبرية الحديثة، كما نجدها استعملت مراراً في كتاب العهد القديم، مثل: سفر التكوين 42/ 11، وسفر الخروج 7،8/16 وسفر العدد 32/ 32، وسفر صموئيل 12/17، وسفر المراثي 3/ 42. وهذه الصيغة تشبه الصيغة العربية (نحن).

ولعلَّه من المفيد هنا أنْ نذكر أنَّ بعض اللهجات العربية الحديثة عرفت صيغاً أخرى لهذا الضمير، مثل: (حِنَّا)، (نحنا)، (احنا)، وهذه الصيغ نسمعها في بعض لهجات أهل الشام.

وما حدث في الأمثلة السابقة من صور النطق لهذا الضمير في بعض اللهجات العامية العربية هو ـ من الناحية الصوتية ـ نوع من القلب المكاني كما في (حِنَّا)، والقلب المكاني يعني تبادل صوتين أو أكثر مكانيهما، أو ينقل الصوت من مكان إلى آخر مثل بَئِسَ وأَيَسَ.[1] والسبب الرئيسي لهذه الظاهرة هو ميل الناطق باللغة إلى الحد من الجهد العضلي المبذول من الأجهزة الصوتية في نطق بعض الكلمات عن طريق تقديم أو تأخير بعض الأصوات. [2]

ولا تفوتني الإشارة هنا إلى أنَّ وجود (الحاء) في الضمير(نَحْنُ) حيَّر الباحثين الذين تصدوا لدراسة الضمائر، سواء أكانت هذه الدراسة في ضوء اللغة العربية أو دراسة مقارنة في ضوء اللغات السامية، وقد قيلت في ذلك آراءٌ واجتهاداتٌ كثيرة، بيد أنَّ هذه الآراء ـ من وجهة نظرنا ـ لا تقومُ على دليلٍ علمي مقنع، بل هي قائمةٌ على افتراضاتٍ لا يمكنُ البرهنةُ على وجودها؛ لذا آثرنا هنا الإشارةَ إليها على الخوض فيها. [3]

(1) ـ يُنظر: الأنطاكي، محمد، المحيط في أصوات العربية ونحوها وصرفها، دار الشروق العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، ص 23 ـ 24.

(2) ـ يُنظر: عبد التواب، د. رمضان، التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه، الناشر: مكتبة الخانجي بالقاهرة، الطبعة الثانية، 1410هـ/ 1990م،ص 64.

(3) ـ يُنظر على سبيل المثال: الجرح، أحمد خليل، نظرة تحليلية مقارنة عن الضمائر في اللغة العربية، مجلة مجمع اللغة العربية ، القاهرة، (د.ت)، الجزء الثاني والعشرون. و عبد الله طارق نجم، الضمير نحن (دراسة لغوية في بناء الممثل الصرفي)، جامعة الإمارات العربية المتحدة، مجلة اللسان العربي، العدد 35، 1991م. و عبد المجيد، محمد بحر، بين العربية ولهجاتها والعبرية، نشر: جامعة عين شمس، 1977.

ضمائر الخطاب:

1 ــ المفرد:

تشترك اللغتان العربية والعبرية بضميرين من ضمائر الخطاب للمفرد، وهذان الضميران هما: **أَنْتَ:** للمفرد المذكَّر، ويقابله في اللغة العبرية الضمير(אַתָּה)، و**أَنْتِ:** للمفرد المؤنث، ويقابله في اللغة العبرية الضمير(אַתְּ)، وتنفردُ اللغةُ العربيةُ باستخدام الضمير(أنتما) للمثنَّى، الذي لا نجد ما يماثله في اللغة العبرية، أو في غيرها من اللغات السَّاميّة الأخرى. وقد عدَّ المستشرق الألماني" براجشتراسر" المثنَّى من اختراع العربية، فهو لا يوجد في إحدى اللغات السَّاميّة غير العربية فاخترعته هي، والعرب يستحبون التثنية أكثر من سائر السَّاميين، ويستعملونها استعمالاً أوسع منهم. (1)

وفيما يتعلَّق ببنية الضمير(أَنْتَ) فالراجح أنَّه مكوَّنٌ في العربية من مقطعين هما(an>) + (ta) على اعتبار أنَّ (an>) هي العماد الذي بنيت عليه الضمائر، والتاء المتحركة، وهي المقطع الثاني، هي نفسها المستخدمة في الضمير المتصل للمخاطب المفرد كقولنا(قلتَ). وهذا الرأي هو ما ذهب إليه الخليل بن أحمد الفراهيدي الذي رأى أنَّ (أنْ) هي الضمير، وأمَّا التاء فقد لحقت للدلالة على الخطاب، كما لحقت الكاف ذلك. (2) وهذا ما ذهب إليه المستشرق الألماني براجشتراسر الذي رأى أنَّ ضمير المخاطب(أَنْتَ) مكوَّنٌ من (أنْ) بعينها التي يتكوَّن منها ضمير المتكلِّم(أنا)، ومن (ta) الموجودة في صيغة المخاطب من مضارع الفعل. (3)

أمَّا في اللغة العبرية فتسقط النون من الضمير(אַתָּה) الذي هو في الأصل(אַנְתָּה) لوقوعها ساكنة بين متحركين، وتضعَّف التاء لعوامل صوتية خاصة بهذه اللغة.

والراجح أنَّ ما حصل في هذه اللغة هو نوعٌ من المماثلة بين النون الأولى والتاء الثانية، حيث تأثرت النون بالتاء بعدها فتماثلت معها تماثلاً مدبراً كلياً متصلاً، والهدف من هذا التماثل هو إحداث نوع من التوافق والانسجام بين الأصوات المتنافرة في الصفات

(1) ـ يُنظر: برجشتراسر، التطوُّر النحوي للغة العربية، ترجمة: رمضان عبد التواب، نشر: مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الثالثة 1417هـ/ 1997م، ص 78.

(2) ـ يُنظر: سيبويه، الكتاب، ج4/ 218.

(3) ـ يُنظر: برجشتراسر، التطوُّر النحوي للغة العربية، ص 41.

والمخرج داخل النسيج اللغوي الواحد. anta< ← atta< فالنون صوت لثوي أنفي مجهور، وهو من الأصوات المتوسطة بين الشدَّة والرخاوة، [1] وأمَّا التاء فقد عدَّه العلماءُ صوتاً لثوياً أسنانياً انفجارياً،[2] فالصوتان متقاربان في المخرج، ومختلفان في الجهر والهمس، فعمدت اللغةُ إلى التقريب بين الصوتين بقلب النون إلى تاء لتتماثل مع التاء الثانية، وهو نوع من السهولة والتيسير.

ومن خلال ما تقدَّم نجد أنَّ الخلاف في بنية الضمير(أَنْتَ) في اللغتين العربية والعبرية، تكمن في درجة الفتحة، ففي العربية نجد فتحة قصيرة، بينما في العبرية نجد فتحة طويلة، وهاء سكت. ويرى الدكتور محمد بحر عبد المجيد أنَّ الأصل هو التاء بفتحة قصيرة كما في العربية، ثمَّ أطيلت هذه الفتحة كدلالة على التذكير. [3]

وإذا ما انتقلنا للحديث عن الضمير المخاطب للمفرد المؤنث(أَنْتِ) نجد أنَّ هذا الضمير يتكوَّن من الناحية المقطعية من مقطعين صوتيين هما: an + ti> والمقطع الأول منهما، وهو(an>) قصير مغلق بصامت، والمقطع الثاني(ti) قصير مفتوح. وقد ذهب بروكلمان إلى أنَّ هذا الضمير مكوَّن من المقطعين السابقين، وبيَّنَ أنَّ التاء المتحرِّكة، وهي المقطع الثاني، ما هي إلاَّ التاء التي لا تزال تقابلنا وحدها في الفعل. [4]

أمَّا المستشرق الفرنسي هنري فليش فذهب إلى أنَّ الأصل في هذا الضمير هو(أَنْتي) بكسرة طويلةٍ. [5] أي أنَّ الأصل في نطق هذا الضمير ـ كما يرى فليش ـ هو أنْ ينطق بالكسرة الطويلة، ومن ثمَّ قُصِّرت هذه الحركة لتصبح كسرة قصيرة، وقد بيَّن (فليش) أنَّ هذه الكسرة الطويلة هي لاحقة مستهلكة مبتذلة من مخلفات اللغة القديمة. [6] ورأى في

(1) ـ يُنظر: مرعي، عبد القادر، التشكيل الصوتي ، جامعة مؤتة، الأردن، الطبعة الأولى، 2002م، ص 66.

(2) ـ يُنظر: أنيس، د. إبراهيم، الأصوات اللغوية، نشر: مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، مصر، الطبعة الخامسة، 1979م، ص 51.

(3) ـ يُنظر : عبد المجيد، محمد بحر، بين العربية ولهجاتها والعبرية، ص 90.

(4) ـ يُنظر: بروكلمان، كارل، فقه اللغات السامية، ترجمة: د. رمضان عبد التواب، مطبوعات جامعة الرياض، 1397هـ/1977م، ص 86.

(5) ـ يُنظر: فليش، هنري، العربية الفصحى نحو بناء لغوي جديد، تعريب وتحقيق: عبد الصبور شاهين، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، 1966م، ص 131.

(6) ـ يُنظر: المرجع السابق، ص 131.

موضع آخر أنَّ هذه الكسرة الطويلة من لواحق المؤنث المستعملة كثيراً في الضمائر والأفعال. [1] وتابعه في رأيه هذا المستشرق الألماني براجشتراسر في كتابه التطور النحوي للغة العربية. [2]

فإذا ما سلَّمنا بصحَّة ما ذهب إليه كل من (فليش، و براجشتراسر) فإنَّ ما حدث هو تحوُّل من المقطع الطويل المفتوح إلى المقطع القصير المفتوح عن طريق تقصير الحركة الأخيرة. وربُّما يعضد رأيهما ما نجده في بعض اللهجات العامية العربية من كتابة هذا الضمير بالياء (أنتي)، يضاف إلى ذلك أنَّ هذا الضمير ورد في اللغة العبرية بصيغة (אַתְּ) بتقصير حركة التاء التي جات ساكنة، لكنَّنا نجد في عبرية العهد القديم أنَّ هذا الضمير ورد بصيغة(אַתִּי)أي بالكسرة الطويلة، وذلك في مواضع عديدة من العهد القديم التي سَلِمَتْ من التعديل، كما في سفر الملوك الأول2/14، وسفر الملوك الثاني 4/ 16، 23، و1/8، وفي سفر أرميا 30/4، وسفر حزقيال 13/36،...إلخ، وكلُّ هذا يرجِّح أنَّ حركة التاء في الضمير (אַתְּ) هي الكسرة، وليس السكون. [3] كما نجد أنَّ التاء في هذا الضمير ـ في اللغة العبرية ـ أُبدلت بالنون، وقد يكون ما حدث في السياق الصوتي لهذا الضمير هو نفسه ما حدث في الضمير السابق(אַתָּה) ـ الذي سبق لنا الحديث عنه ـ من مماثلة بين النون والتاء على اعتبار أنَّ النون في نظر اللغويين هي الأصل في البناء الصوتي لهذا الضمير.

1 ــ الجمع:

تعرف اللغتان العربية والعبرية ضميرين من ضمائر الخطاب للجمع، هما في العربية: أَنْتُم: لجمع المذكَّر، ويقابله في اللغة العبرية الضمير(אַתֶּם)، و أَنْتُن: لجمع المؤنَّث، ويقابله في اللغة العبرية (אַתֶּן). وعماد التمييز بين المذكَّر والمؤنث في جمع المخاطبين والمخاطبات في العربية ـ وكذلك في العبرية ـ لا يقوم على مبدأ الاعتماد على

(1) ـ يُنظر: المرجع السابق، ص 69.

(2) ـ يُنظر: برجشتراسر، التطوُّر النحوي للغة العربية، ص 78.

(3) ـ يُنظر : عبد المجيد، محمد بحر، بين العربية ولهجاتها والعبرية، ص 90.

الحركة: الفتحة والكسرة كما في حالة الخطاب بصيغة المفرد(أنتَ، أنتِ)، بل يعتمد بشكل أساسي على المفارقة الصوتية بين الصوتين الساكنين: الميم والنون. [1]

وذهب المستشرق الألماني بروكلمان إلى أنَّ الصيغة الأصلية لضمير الخطاب الجمع في اللغة العربية هي: ntumû< [2] أي أنَّ الأصل في هذا الضمير يكون بالواو المدية، وما حدث في هذه الصيغة هو تقصير الحركة الطويلة لتصبح حركة قصيرة، وهو نوع من التخفيف لثقل الواو حسب رأي ابن يعيش.[3]

وتجدر الإشارة هنا إلى أنَّ بعض اللهجات العربية العامية الحديثة استخدمت هذا الضمير بإلغاء الميم؛ لذا نجدهم يقولون (إنتو).[4] فالذي حدث في هذه اللهجات أنَّها أسقطت الميم من البناء الصوتي لهذا الضمير كنوع من الاختصار، وربَّما كان السبب في هذا الاختصار في الجهد العضلي المبذول أثناء النطق هو كثرة دوران هذه الألفاظ في الاستعمال، مما أدَّى إلى جعلها عرضة للاختصار والقص منها، وهو ما أطلق عليه الدكتور رمضان عبد التواب مصطلح " بلى الألفاظ". [5]

وإذا ما عدنا إلى اللغة العبرية نجد أنَّ الضمير(אַתֶּם)، هو في الأصل(אַנְתֶּם) وينطبق عليه القول الذي ذكرناه أثناء حديثنا عن الضمير(אַתְּה) الذي هو في الأصل(אַנְתָּה)، أي أنَّ ما حصل في هذا الضمير هو نوعٌ من المماثلة بين النون الأولى والتاء الثانية، حيث تأثرت النون بالتاء بعدها فتماثلت معها تماثلاً مدبراً كلياً متصلاً، والهدف من هذا التماثل هو إحداث نوع من التوافق والانسجام بين الأصوات المتنافرة في الصفات والمخرج داخل النسيج اللغوي الواحد.

([1]) ـ يُنظر : عمايرة، إسماعيل أحمد، ظاهرة التأنيث بين اللغة العربية واللغات السامية ـ دراسة لغوية تأصيلية، نشر: مركز الكتب العلمي، عمان، الأردن، الطبعة الأولى 1986م، ص 56.

([2]) ـ يُنظر: بروكلمان، كارل، فقه اللغات السامية، ص 86

([3]) ـ يُنظر: ابن يعيش، شرح المفصّل، 3/ 95.

([4]) ـ يُنظر: الجرح، أحمد خليل، نظرة تحليلية مقارنة عن الضمائر في اللغة العربية، ص 60. وينظر أيضاً: عبد المجيد، محمد بحر، بين العربية ولهجاتها والعبرية، ص 92.

([5]) ـ يُنظر: عبد التواب، د. رمضان، التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه، ص 135. **(يقول الدكتور رمضان عبد التواب: من الحقائق المقرَّرة، عند المحدثين من علماء اللغات، أنَّ كثرة الاستعمال، تبلي الألفاظ وتجعلها عرضةً لقصِّ أطرافها)**. التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه، ص 135.

بيدَ أنَّنا نلاحظ أنَّ التاء في هذا الضمير حركتها الضمة في اللغة العربية، بينما حركة التاء هي الكسرة القصيرة الممالة (السيجول) في اللغة العبرية، وهذا الاختلاف في حركة التاء تشبه ما يسمَّى بـ(الوكم) عند علماء اللهجات العربية. [1] ويرى الدكتور محمد بحر عبد المجيد أنَّهُ ربَّما كانت حركة تاء ضمير المخاطبين في العبرية الضمة (אַתּוּם) ، وضمير المخاطبات بالكسرة (אַתִּין) ثمَّ تحوَّلت الحركتان إلى كسرة قصيرة ممالة. [2]

واستكمالاً للحديث عن ضمائر الخطاب للجمع فإنَّ ما قلناه عن الضمير(أَنْتُم) في العربية، و(אַתֶּם) في العبرية ينطبق على الضمير(أَنْتُن) في العربية، و(אַתֵּין)في العبرية، ولا نرى حاجةً لإعادة ما سبق ذكرهُ.

ضمائر الغائب:

1 ــ المفرد:

يوجد في اللغة العربيّة ضميران للغائب المفرد هما: الضمير(هُوَ) للمفرد الغائب المذكَّر، ونظيره في اللغة العبرية (הוּא)، و(هِيَ) للمفردة الغائبة المؤنثة، ونظيرها في اللغة العبرية (הִיא). وتنفردُ اللغةُ العربيةُ باستخدام الضمير(هما) للمثنَّى، الذي لا نجد ما يماثله في اللغة العبرية، أو في غيرها من اللغات السَّاميّة الأخرى، شأنه في ذلك شأن الضمير(أَنْتُما) الذي يستخدم للمخاطب المثنى، إذ انفردت اللغة العربية بصيغتي التثنية في الخطاب والغيبة، فلا نجد لها ما يقابلها في اللغات السَّاميّة بينما هي في العربية باقيّة وحيَّة على الألسن والأقلام عاميّةً وفصيحةً. [3]

وضمائر الغائب، التي هي النوع الثالث من الضمائر، موضعها الحقيقي، بين الضمائر وبين أسماء الإشارة، فهي تشارك الضمائر في الانقسام إلى منفصلة ومتصلة، مرفوعة ومجرورة ومنصوبة. وتشارك أسماء الإشارة في أنَّه يُكنَّى بها عن الأسماء، مثال ذلك: أني إذا سئلتُ: أين زيد؟ أمكنني أنْ أجيب: هو في البيت، بدل أنْ أقول: زيدٌ في

([1]) ـ الوكم: هو كسر كاف الخطاف عندما تسبق بياء أو كسرة، مثل: عَلَيْكِم، بِكِم، وذلك مناسبةً للياء أو الكسرة قبلها. يُنظر: هلال، عبد الغفار حامد، اللهجات العربية نشأة وتطوُّراً، نشر مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الثانية، 1414هـ/ 1993م، ص 288.

([2]) ـ يُنظر : عبد المجيد، محمد بحر، بين العربية ولهجاتها والعبرية، ص 92.

([3]) ـ يُنظر: جبر، محمد عبد الله، الضمائر في اللغة العربية، ص 30.

البيت، فأكني بالضمير عن الاسم. والكناية قريبة من الإشارة، ومشتقة منها، ومما يدلُّ على ذلك أنَّ الضمير (hū) العبرية المطابقة لـِ (هُوَ) العربية، معناها: (ذلك) في كثير من الحالات. [1]

وفيما يتعلَّق ببنية ضمير الغائب المفرد المذكَّر(هُوَ) نجد أنَّه مكوَّنٌ من مقطعين صوتيين، وهما مقطعان قصيران مفتوحان، وثمَّةَ خلافٌ بين البصريين والكوفيين حول بنية هذا الضمير، فالكوفيون يرون أنَّ الهاء وحدها هي الضمير. [2] ويحتجُّون لمذهبهم هذا بأنَّ الواو تحذف في التثنية نحو: هما، فلو كانت (الواو) أصلاً لما حذفت، كما ذهب الكوفيون إلى أنَّ هذه (الواو) تحذف حتى في حالة الإفراد أيضاً، وتبقى الهاء وحدها، وأيَّدوا رأيهم ببعض النصوص الشعرية.

ومذهب الكوفيين هذا أيَّده بعض علماء اللغة المحدثين، نذكر منهم على سبيل المثال وليس الحصر الدكتور مهدي المخزومي الذي رأى أنَّ الهاء وحدها هي الضمير وذلك من خلال المقارنة مع اللغات السَّاميَة؛ لأنَّها أي (الهاء) هي الضمير وحدها في الآرامية والعبرية... ورأى المخزومي أنَّ الصوت الملحق بالهاء ليس إلاَّ ضمَّةً ممطولةً أو كسرةً ممطولةً [3]، وأنَّه لا بدَّ من الضمة والكسرة ليسهل نطقه على اللسان، ولا بدَّ أنَّ الضمير في (هو، وهي) وفروعهما، هو نفس الضمير المتصل الذي نجده في ضربه وضربها وضربهما وضربهم وضربهن. [4]

أمَّا البصريون فيرون أنَّ بنية الضمير (هو) هي بنية بسيطة مكوَّنة من الهاء والواو دون تفصيل. [5] وحجتهم في ذلك أنَّ الضمير مستقل بذاته يجري مجرى الظاهر فلا

([1]) ـ يُنظر: برجشتراسر، التطوُّر النحوي للغة العربية، ص 79.

([2]) ـ يُنظر: ابن يعيش، شرح المفصّل، 3/ 96.

([3]) ـ المراد بالحركة الممطولة هي الحركة المشبعة. يُنظر: ابن جني، الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1952 ـ 1956م، 123/3.

([4]) ـ يُنظر: المخزومي، د. مهدي، مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو، نشر: شركة مكتبة ومطبعة البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة الثانية، 1377هـ/ 1985م، ص 195.

([5]) ـ يُنظر: ابن يعيش، شرح المفصّل، 3/ 97.

يكون على حرف واحد، ولأنَّ المضمر إنَّما أُتِيَ به للإيجاز والاختصار، فلا يليقُ به الزيادة، ولا سيما الواو وثقلها، ولا دليل في الشواهد الشعرية التي ساقها الكوفيون للاستشهاد على صحة ما ذهبوا إليه، فهو من قبيل الضرورة. [1]

وممَّا يؤيِّد مذهب البصريين ما ذكره ابن منظور في اللسان حين قال: " فإذا أفردتَ الهاء من الاتصال بالاسم أو الفعل أو بالأداة، وابتدأتَ كلامك قلتَ هو لكلِّ مذكَّرٍ غائب، وهي لكلِّ مؤنثة غائبة... فزدت واواً أو ياءً استثقالاً للاسم على حرفٍ واحد، لأنَّ الاسم لا يكون أقل من حرفين". [2]

أمَّا في اللغة العبرية فيلاحظ في بنية هذا الضمير تولُّد همزة أخيرة، وهذه الهمزة ربَّما جاءت لإظهار حركة الهاء، وهي الضمة الطويلة(الشروق). ويرى بعض الباحثين أنَّ أصل هذا الضمير في العربية كان كالعبرية، لكنَّ الهمزة حذفت وأُبدلت واواً في زمن قديمٍ أقدم من سائر تخفيفات الهمزة في اللهجات العربية. [3] وحذف الهمزة هنا يشبه حذف الحرف الأخير في بعض اللهجات العربية إذا كان قبلها مد، مثل: رَدِيء ← رَدِي، سَمَاء ← سما،... [4]

أمَّا بالنسبة لضمير المفردة الغائبة المؤنثة (הִיא) في اللغة العبرية فيلاحظ في بنية هذا الضمير تولُّد همزة أخيرة، وهذه الهمزة ربَّما جاءت لإظهار حركة الهاء، وهي الكسرة الطويلة (الحيريق جادول)، والدليل على ذلك أنَّ هذه الهمزة لا تظهر في اللفظ، فهي من الحروف التي تكتب ولا تلفظ، وينطبق على هذا الضمير ما قيل عن ضمير الغائب المفرد المذكر(הוּא)، أي أنَّه مكوَّنٌ من الهاء الإشارية التي اتخذت الكسرة حركة لتدلَّ على المؤنث، ثمَّ مُدَّت الكسرة وتولَّدت عن المد ياء. وهذا ما يتطابق مع بنية هذا الضمير في

([1]) ـ يُنظر: المصدر السابق، الصفحة نفسها.

([2]) ـ ابن منظور، لسان العرب، مادة (ها)

([3]) ـ يُنظر: زيدان، جرجي، الفلسفة اللغوية والألفاظ العربية، مراجعة وتعليق: الدكتور مراد كامل، نشر: دار الهلال، (د . ت)، هامش ص 122.

([4]) ـ يُنظر : عبد المجيد، محمد بحر، بين العربية ولهجاتها والعبرية، ص 93.

اللغة العربية؛ فالضمير(هِي) في العربية تكون بكسر الهاء لمناسبة الياء؛ لأنَّهم لو ضمُّوا الهاء مع الياء لخرجوا من ضم إلى كسر، وذلك ثقيل، فكسروا الهاء. [1]

وتجدر الإشارة هنا إلى أنَّ اللغة العبرية في فترة من فتراتها لم تكن تُفَرِّق بين ضمير الغائب المذكَّر والمؤنَّث، على الأقل في الكتابة، لذا نجد في كتاب العهد القديم أنَّ ضمير المؤنث كُتِبَ بالواو (הוּא) بدلاً من الياء، ومن ذلك على سبيل لمثال لا الحصر: سفر التكوين 2/14 ، 5/20، 38/ 25، سفر العدد 13/5، سفر أيوب 11/31،....إلخ. [2]

2 ــ الجمع:

يوجد في اللغة العربية ضميران للدلالة على جمع الغياب، هما: الضمير(هُم) ونظيره في اللغة العبرية(הֵם)، و(هُن) ونظيرهُ في اللغة العبرية(הֵן). وضمائر الغياب في صيغة الجمع تنتهي بميم للمذكَّر، ونون للمؤنث في اللغتين كعلامتين تضافان إلى الهاء، ويلاحظ أيضاً أنَّ الهاء تُضمُّ في العربية، ولكنَّها تُكسرُ في العبرية بكسرة طويلة ممالة(صيري)، فحركة الهاء في الضميرين(هُم، هُن) ضمة قصيرة، بينما حركة الهاء في الضميرين(הֵם، הֵן) كسرة طويلة ممالة.

من جهة أخرى فالراجح عند دارسي اللغات السَّاميّة أنَّ الضمائر هي مورث سامي قديم أخذته هذه اللغات عن ما يسمونه اللغة السامية الأم، أمَّا السبب في اختلاف الحركات في هذه الضمائر، فمردُّهُ إلى اختلافات لهجية تتعلَّق بكل شعب من الشعوب السامية.

ب ـ ضمائر النصب المنفصلة

تقسم **الضمائر المنفصلة** في اللغة العبريّة إلى: ضمائر رفع منفصلة، وقد سبق لنا الحديث عنها فيما تقدَّم، وضمائر النصب المنفصلة وهي في العربية والعبرية:

إياي	إياكَ	إياكِ	إياهُ	إياها	إيانا	إياكم	إياكن	إياهم	إياهن
אוֹתִי	אוֹתְךָ	אוֹתָךְ	אוֹתוֹ	אוֹתָהּ	אוֹתָנוּ	אֶתְכֶם	אֶתְכֶן	אוֹתָם	אוֹתָן

([1]) ـ يُنظر: ابن جني، كتاب البيان في شرح اللُّمَع، ص 332.

([2]) ـ يُنظر : المرجع السابق، ص 94.

ويوجد في اللغة العربية أيضاً ضميران من ضمائر النصب المنفصلة لا تعرفهما العبرية؛ لأنَّهما خاصَّان بالمثنى وهما: (إياكما، وإياهما)، فالعربية ـ كما ذكرنا من قبلُ ـ انفردت بصيغتي التثنية في الخطاب والغيبة، فلا نجد لها ما يقابلها في اللغات السَّاميّة بينما هي في العربية باقيّةٌ وحَيَّةٌ على الألسن والأقلام عاميّةً وفصيحةً. [1]

وضمائر النصب المنفصلة في اللغة العربية ـ كما هو واضح من خلال ما تقدَّم ـ تبدأ بـ (إيا) متبوعةً بدليل المراد به المتكلِّم، أو المخاطب، أو الغائب، وعددها اثنا عشر ضميراً. [2] وتستعمل في المواضع التي تتطلَّبُ حالة النصب عندما لا يمكن أنْ يستعمل الضمير المتصل. [3] وتقسم هذه الضمائر بحسب الحضور والغيبة والجنس إلى الأقسام الآتية: إياي: للمتكلِّم، إيانا: للتثنية والجمع، إياكَ: للمخاطب، إياكِ: للمخاطبة، إياكم: للمخاطبين، إياكما: للمثنى المخاطب بنوعيه المذكر والمؤنث، إياه: للغائب، إياها: للغائبة، إياهما: للمثنى الغائب بنوعيه المذكر والمؤنث، إياهم: للغائبين، إياهن: للغائبات.[4]

وقد اختلف النُّحاةُ في شأن هذه الضمائر، كما اختلفوا في ضمائر الرفع المنفصلة، وتباينت الآراء حول نشأتها وأصولها، وقد ذكر ابن يعيش أنَّ هذا الضرب من المضمرات فيه إشكال؛ ولذلك كَثُرَ اختلافُ العلماءِ فيه. [5]

وتأسيساً على ذلك فإنَّنا لن نخوض في خلافات النحويين من بصريين وكوفيين، ومن سار في ركب كلٍّ منهما من النحاة في شأن هذه الضمائر، بل سنذكر باختصار رأي كلٍّ منهم:

فالكوفيون يعدون الحروف الملحقة بـ(إيا) هي الضمائر، و(إيا) عماد جُلِبَ ليتسنَّى لهذه الضمائر الانفصال في بنيةٍ مستقلّةٍ، وحجتهم في ذلك أنَّ الضمائر المتصلة بآخر(إيا)

([1]) ـ يُنظر: جبر، محمد عبد الله، الضمائر في اللغة العربية، ص 30.

([2]) ـ يُنظر: يعقوب، د. أميل بديع، موسوعة النحو والصرف والإعراب، ص 425.

([3]) ـ يُنظر: أيوب، عبد الرحمن، دراسات نقدية في النحو العربي، مؤسسة الصباح للنشر والتوزيع، الكويت، (د.ت)، ص 67.

([4]) ـ يُنظر: المرجع السابق، ص 67،68.

([5]) ـ يُنظر: ابن يعيش، شرح المفصّل، 3/ 96.

هي نفسها الضمائر المتصلة، ولا فرق بينهما بوجه ما، فجِيءَ بـ(إيا) لتستقلَّ هذه الضمائر لفظاً. [1] أمَّا البصريون وعلى رأسهم سيبويه، فيرى أنَّ (إيا) هي الضمير، والكاف والهاء والياء لواحق للدلالة على أحوال المرجوع إليه. [2]

ولعلَّ أهم الآراء التي قيلت في هذا الشأن من وجهة نظرنا، وهو رأي الدكتور أحمد خليل الجرح في بحثه الذي نشره في مجلة مجمع اللغة العربية في القاهرة بعنوان: (نظرة تحليلية مقارنة على الضمائر في العربية)، وفي هذا البحث فسَّر الجرح (إيا) في ضوء مقارنتها مع أداة المفعولية(אֶת) في اللغة العبرية، إذ يرى الجرح أنَّ(إيا)أداة خاصة بالمفعولية، وما بعدها من اللواحق هي نفسها ضمائر النصب المتصلة، وذلك مُسَلَّمٌ به في اللغة العبرية التي لا تزال تستعمل الأداة الموجودة قبل ضمائر النصب المنفصلة مع الأسماء الظاهرة أيضاً، وهذه الأداة هي(אוֹת/אֶת) التي تقابل(إيا) في اللغة العربية. [3]

ويدعم ما ذهب إليه الدكتور الجرح ما قاله الصوَّاف، الذي يرى أنَّ ضمائر النصب المنفصلة في اللغة العبرية مشتقة من الأداة (אֶת) التي تُعدُّ مؤشراً على أنَّ الاسم المعرَّف بالهاء بعدها يُعربُ مفعولاً به... وعندما تضاف هذه الأداة إلى الضمائر المتصلة تكوِّن ما يسمَّى في العبرية بضمائر النصب المنفصلة. [4]

وتجدر الإشارة أخيراً إلى أنَّ الدرس الصوتي الحديث يصف(إيا) بالمورفيم الفريد، وهو المورفيم الذي يحدثُ مرَّةً واحدةً فقط في لغة ما، ولا تأتي (إيا) في العربية إلاَّ في هذا السياق، وليس لها وظيفة أخرى غير هذه الوظيفة، وهي الاشتراك مع الضمائر المتصلة، لتؤلف ضمائر النصب المنفصلة. [5] وهذا يرجِّح ما ذهب إليه الكوفيين.

([1]) ـ يُنظر: ابن الأنباري، أبو البركات(ت:577هـ)، الإنصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين، تحقيق ودراسة : جودة مبروك محمود مبروك، مراجعة : د. رمضان عبد التواب، نشر: مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الأولى 2002م، 2/ 695.

([2]) ـ يُنظر: ابن يعيش، شرح المفصّل، 3/ 98.

([3]) ـ يُنظر: الجرح، أحمد خليل، نظرة تحليلية مقارنة عن الضمائر في اللغة العربية، ص 66،67. ويُنظر: عبد المجيد، محمد بحر، بين العربية ولهجاتها والعبرية، ص 102.

([4]) ـ يُنظر: الصواف، محمد توفيق، اللغة العبرية، ص 234.

([5]) ـ يُنظر: النجار، أشواق محمد، دلالة اللواصق التصريفية في اللغة العربية، عمان، الأردن، دار دجلة، الطبعة الأولى، 2005، ص 162.

ثانياً ـ الضمائر المتصلة:

تنقسمُ الضَّمائرُ المُتَّصِلةُ في اللُّغةِ العبريّةِ، كما هو الحال في اللُّغةِ العربيّةِ، إلى ضمائر رفع، ونصب، وجر. وبينما تتصلُ ضمائرُ الرَّفْعِ بالأفعال فقط، لِتُعْرَبَ في محل رفع فاعلٍ، تتصلُ ضمائرُ النصب بالأفعال والأسماء، فإذا اتَّصلت بالأفعال فهي في محل نصب مفعول به، وإذا اتَّصلت بالأسماء كانت في محل جر بالإضافة. أمَّا ضمائر الجر فلا تتصل بالأفعال، بل بالأسماء والحروف، وفي كلا هذين الاتصالين تكون في محل جر، إمَّا بالإضافة إذا اتصلت بالاسم، أو في محل جر بحرف الجر إذا اتصلت بحرف جر.

أ ــ ضمائر الرفع المتصلة:

ضمائر الرفع المتصلة في اللغة العربية لا تتصل إلاَّ بالأفعال، وعددها عشرة، هي: تُ، تَ، تِ، نا، تُما، تُم، تُنَّ، ألف الاثنين، واو الجماعة، نون النسوة. [1] أمَّا في اللغة العبرية فعددها ستة، تجمعها كلمة: תְּהִימוּ"ן = تهيمون. [2] وقد سُمِّي الضمير المتصل كذلك؛ لأنَّه غير مُنْفَصِلٍ عمَّا يعملُ فيه ولا يجوز أنْ يتقدَّم عليه، ولا يُفْصَلُ بيته وبينهُ [3]

תִּי	תָּ	תְּ	נוּ	–	תֶּם	תֶּן	–	וּ	–	ה
תُ	تَ	تِ	نا	تُما	تُم	تُن	ألف الاثنين	واو الجماعة	ن	ـ

وفيما يلي جدول يبيِّن اتصال ضمائر الرفع المتصل بالفعل (כָּתַב = كَتَبَ) في كل من العربية والعبرية.

ضمائر المتكلِّم		ضمائر المخاطب		ضمائر الغائب	
الفعل + الضمير		الفعل + الضمير		الفعل + الضمير	
כָּתַבְתִּי	תִּי= تُ	כָּתַבְתָּ	תָּ= تَ	כָּתְבָה	ה= تْ
כָּתַבְנוּ	נוּ= نا	כָּתַבְתְּ	תְּ= تِ	כָּתְבוּ	וּ = واو الجماعة
ـ	ـ	כְּתַבְתֶּם	תֶּם= تُم	כָּתְבוּ	וּ = واو الجماعة
ـ	ـ	כְּתַבְתֶּן	תֶּן= تُن	ـ	ـ

(1) ـ يُنظر: يعقوب، د. أميل بديع، موسوعة النحو والصرف والإعراب، ص425.

(2) ـ يُنظر: الصواف، محمد توفيق، اللغة العبرية، اللغة العبرية، ص 234.

(3) ـ يُنظر: ابن جني، كتاب البيان في شرح اللُّمَع، ص 327.

ويلاحظ أنَّ الفعل الماضي يبنى على السكون عندما يتصل بضمائر الرفع المتصلة ولا سيما ضمائر(المفرد المتكلِّم: كَتَبْتُ، والمتكلمين: كَتَبْنا، والمخاطب: كَتَبْتَ، والمخاطبة: كَتَبْتِ، وجماعة المخاطبين: كَتَبْتُم، والمخاطبات: كَتَبْتُنَّ) في الوقت الذي كانت فيه حركة بناء الفعل الأصلية هي الفتحة.

والسبب في البناء على السكون هو أنَّ بقاء حركة بناء الفعل الأصلية الفتحة سينتج عنه توالي أربعة مقاطع صوتية قصيرة مفتوحة، وهذا الأمر يرفضه النظام المقطعي للغة العربية إلاَّ في حالة نادرة، حيث إنَّ توالي الحركات الكثيرة يؤدي إلى صعوبة في النطق وجعله ثقيلاً على اللسان، وهذا يؤدي إلى إضعاف النظام المقطعي. [1]

وقد حذت اللغةُ العبريةُ حذوَ اللغةِ العربيةِ فبنت الفعلَ الماضي على السكون عند اتصاله بالضمائر الآنفة الذكر، والعلة في ذلك لا تعدو أنْ تكون توالي مقاطع صوتية متعدِّدة، الأمر الذي سينتج عنه ـ أيضاً ـ صعوبةٌ في النطق وثقلٌ على اللسان، كما هو الحال في اللغة العربية.

وإذا كان الفعلُ المسندُ معتلَ العينِ(أجوفَ)، مثل: خَافَ(أصله: خَوِفَ) فعند إسناده إلى ضمائر الرفع المتصلة يحذف حرف العلة(الواو)، وتنقلُ حركتهُ(الكسرة) إلى فاء الفعل؛ لذا نقول: خِفْتُ. وهذا ما يحصل تماماً في اللغة العبرية، مثال ذلك الفعل (קָם= قام، أصله:קָוַם)، عند إسناده إلى ضمير الرفع المتصلة يصبح الفعل (קַמְתָּ = قُمْتَ)، حيث حذفت حركة حرف العلة (الواو)، ونقلت حركته إلى فاء الفعل، كما حصل في اللغة العربية. [2]

ضمائر النصب والجر المتصلة

يوجد في اللغتين العربية والعبرية مجموعةً من الضمائر تعرف بضمائر النصب والجر، فهي ضمائر نصب عندما تتصل بالأفعال، وضمائر جر عندما تتصل بالأسماء والحروف، وسنورد هذه الضمائر في اللغة العبرية، ونضع مقابلاتها في اللغة العربية. [3]

([1]) ـ يُنظر: الشايب، د. فوزي، أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة العربية، عالم الكتب الحديث، إربد، عمان، الطبعة الأولى، 2004م، ص 129.

([2]) ـ يُنظر: أبو خضرة، زيد العابدين، قواعد اللغة العبرية، ص 48.

([3]) ـ يُنظر: أبو خضرة، زيد العابدين، قواعد اللغة العبرية، ص 48.

נִי	נוּ	ךָ	ךְ	כֶם	כֶן	וֹ	ה	ם	ן
ي	نا	كَ	كِ	كُم	كُن	ـهُ	ها	هُم	هُن

هذه الضمائر تكون في **محل نصب** عندما تتصل بالأفعال، مثال ذلك اتصالها بالفعل שָׁאַל = سألَ، ويكون ذلك على النحو الآتي: [1]

ضمائر المتكلِّم		ضمائر المخاطب		ضمائر الغائب	
الفعل	الضمير	الفعل	الضمير	الفعل	الضمير
שְׁאָלַנִי = سألني	נִי	שְׁאָלְךָ = سألكَ	ךָ	שְׁאָלוֹ = سألهُ	וֹ
שְׁאָלַנוּ = سألنا	נוּ	שְׁאָלֵךְ = سألكِ	ךְ	שְׁאָלָהּ = سألَها	ה
–	–	שְׁאָלְכֶם = سألَكُم	כֶם	שְׁאָלָם = سألهُم	ם
–	–	שְׁאָלְכֶן = سألكُن	כֶן	שְׁאָלָן = سألهُن	ן

كما تكون في محل جر عندما تتصل بالأسماء، أو الحروف، أو الظروف:

أ ــ عندما تتصل بالأسماء:

مثال ذلك الاسم: סֵפֶר = كتاب، عندما تتصل به الضمائر الآنفة الذكر يكون في محل جر، ويكون ذلك على النحو الآتي:

ضمائر المتكلِّم		ضمائر المخاطب		ضمائر الغائب	
الاسم	الضمير	الاسم	الضمير	الاسم	الضمير
סִפְרִי = كتابي	ـִי-	סִפְרְךָ = كتابُكَ	ךָ	סִפְרוֹ = كتابُهُ	וֹ
סִפְרֵנוּ = كتابنا	ـֵנוּ	סִפְרֵךְ = كِتَابُكِ	ךְ	סִפְרָהּ = كتابُها	ה
–	–	סִפְרְכֶם = كتابُهم	כֶם	סִפְרָם = كتابُهم	ם
–	–	סִפְרְכֶן = كتابُهن	כֶן	סִפְרָן = كتابُهُن	ן

(1) ـ يُنظر: الصواف، محمد توفيق، اللغة العبرية، اللغة العبرية، ص 235.

ب ـ عندما تتصل بالحرف:

عندما تتصل الضمائر الآنفة الذكر بالحروف تكون في محل جر، مثال ذلك اتصالها بحرف الجر(الباء أو في: בְּ) : [1]

ضمائر المتكلِّم		ضمائر المخاطب		ضمائر الغائب	
الاسم	الضمير	الاسم	الضمير	الاسم	الضمير
בִּי = بي	-ִי	בְּךָ = بكَ	ךָ	בּוֹ = به	וֹ
בָּנוּ = بنا	-ֻנוּ	בָּךְ = بكِ	ךְ	בָּהּ = بها	הּ
–	–	בָּכֶם = بكم	כֶם	בָּהֶם = بهم	ם
–	–	בָּכֶן = بكن	כֶן	בָּהֶן = بهن	ן

ج ـ عندما تتصل بالظروف:

عندما تتصل الضمائر الآنفة الذكر بالظروف تكون في محل جر أيضاً، مثال ذلك اتصالها بالظرف אֵצֶל= عندي: [2]

ضمائر المتكلِّم		ضمائر المخاطب		ضمائر الغائب	
الاسم	الضمير	الاسم	الضمير	الاسم	الضمير
אֶצְלִי = عندي	-ִי	אֶצְלְךָ = عندكَ	ךָ	אֶצְלוֹ = عنده	וֹ
אֶצְלֵנוּ = عندنا	-ֵנוּ	אֶצְלָךְ = عندكِ	ךְ	אֶצְלָהּ = عندها	הּ
–	–	אֶצְלָכֶם = عندكم	כֶם	אֶצְלָם = عندهم	ם
–	–	אֶצְלָכֶן = عندكن	כֶן	אֶצְלָן = عندهن	ן

(1) ـ يُنظر: كمال، د. ربحي، دروس اللغة العبرية، ص 143.

(2) ـ يُنظر: كمال، د. ربحي، دروس اللغة العبرية، ص 143.

من خلال عرضنا السابق لضمائر النصب والجر في اللغتين العربية والعبرية نجد:

1ـ تتفق اللغتان العربية والعبرية في استعمال الكسرة الطويلة، أو الياء ضميراً متصلاً يكون في محل نصب عند اتصاله بالفعل، وفي محل جر عند اتصاله بالأسماء أو الحروف أو الظروف.

2ـ تتفق اللغتان العربية والعبرية في استخدام نون الوقاية قبل اتصال ضمير المتكلِّم(الياء) بالفعل، ففي العربية نجد: سألَنِي، وفي العبرية نجد: שְׁאָלַנִי ، وهذه النون تقوم بوظيفة وقاية آخر الفعل من الكسر عندما يتصل بياء المتكلِّم. [1] ويرجَّح الدكتور محمد بحر عبد المجيد أنَّ السبب في اختيار النون كحرف عماد تعتمد عليه كسرة ياء المتكلِّم؛ لأنَّ النون من مكونات ضمير المتكلِّم المنفصل. [2]

وتتفق اللغتان العربية والعبرية على إثبات نون الوقاية أحياناً وإلغائها أحياناً أخرى، ففي العربية نجد مثلاً: إنّي، وإنَّني، وفي العبرية يجوز إبقاؤها أو إلغاؤها عند اتصالها بالمصدر، نحو: קָטְלַנִי / קָטְלִי = قتلني . [3]

3 ـ بالنسبة لضمير المتكلمين عند اتصاله بالفعل تكون اللاحقة نوناً في اللغتين العربية والعبرية، والفرق بينهما هو في حركة النون، فبينما هي فتحة ممدودة في العربية تكون ضمة طويلة صريحة(شروق) في العبرية.

4 ـ بالنسبة لضمير المخاطب المفرد المذكَّر تكون اللاحقةُ تاءً في اللغتين العربية والعبرية، والفرق بينهما هو في حركة النون، فبينما هي فتحة قصيرة في العربية، فإنَّها فتحة طويلة(قماص) في العبرية.

5 ـ أمَّا بالنسبة لضمير المخاطبة المفردة المؤنثة تكون اللاحقةُ تاءً ـ أيضاً ـ في اللغتين العربية والعبرية، ولكن هذه التاء تكون مكسورةً في العربية، وساكنةً في اللغة العبرية.

6 ـ وفيما يتعلَّق بضمير المخاطبين والمخاطبات في العربية تكون اللاحقة لجمع الذكور كافاً مضمومة وميماً، وللإناث كافاً مضمومة ونوناً منتهية بالفتح، وكذا الأمر في اللغة

([1]) ـ يُنظر: الصواف، محمد توفيق، اللغة العبرية، اللغة العبرية، ص 238.

([2]) ـ يُنظر: عبد المجيد، محمد بحر، بين العربية ولهجاتها والعبرية، ص 101.

([3]) ـ يُنظر: المرجع السابق، ص 101.

العبرية، لكن الخلاف بين اللغتين هو أنَّ الكاف في العربية مضمومة، بينما هي مكسورة في العبرية، فاللغتان العربية والعبرية تختلفان في حركة الكاف التي تسبق علامات الجمع فهي مضمومة في العربية، ومكسورة في العبرية. وقد حدث مثل هذا الاختلاف في حركة الكاف في لهجات العربية، فقد روي عن بني كلب أنَّهم كانوا يكسرون كاف الخطاب مع الجمع فيقولون مثلاً "عَلَيْكِم" بدلاً من عَلَيْكُم، و" بِكِم" بدلاً من "بِكُم"، وقد سُمِّي هذا بالوكم[1].

7 ـ أمَّا بالنسبة لضمائر الغائبين والغائبات في صيغة الجمع، فإنَّنا نجد هاءً قبل ضمير النصب(الميم للمذكر، والنون للمؤنث) في العربية، بينما يتصل هذا الضمير بالفعل مباشرة دون وجود الهاء في العبرية.

8 ـ وأخيراً بالنسبة لضمائر الغائب المفرد(المذكَّر والمؤنَّث) نجد أنَّ اللغتين تتفقان في استعمال الهاء ضميراً للمفردة الغائبة(ها/ ה) في العربية والعبرية، وهذه النقطة ضمن الهاء في اللغة العبرية تسمَّى (المَبِّيق/ المُخْرَج) والغرضُ منها هو نطقُ الهاء في آخر الكلمة عند وقوعها بعد فتحة طويلة، فلولا وجود هذه النقطة لسقطت الهاء من النطق، ولتوقفنا عند الفتحة الطويلة (القماص). [2]

و يبدو للقارئ غير المتدبِّر أنَّ الخلاف بين اللغتين يكمن في الضمير المتصل بالغائب المفرد المذكَّر، ففي العربية نجد الضمير(هُ) بينما تستخدم العبرية الضمة الطويلة المفتوحة(וֹ) المسمَّاة في العبرية (حولام جادول)، بيدَ أنَّ هذا حركة الضمة الطويلة التي نجدها في العبرية تشبه ما حدث في بعض اللهجات العربية المعاصرة، ففي بعض لهجاتنا الدراجة نسمع كلمة (كتابو، قلمو، معلمو) بدلاً من: كتابه، وقلمه، ومعلمه، ولا نكاد نسمع الهاء، وهذا يعني أنَّ اللغتين العربية والعبرية كانتا في الأصل متفقتان في هذا الضمير في وقت من الأوقات، وربَّما حصل الخلاف نتيجة ابتعاد اللهجات السامية بعضها عن بعض عبر الزمان، واختلاف البلدان، وهذا يذكرنا بقول ابن حزم: " فمن تدبَّر

(1) ـ يُنظر : عبد المجيد، محمد بحر، بين العربية ولهجاتها والعبرية، ص 99.

(2) ـ يُنظر : صفيه، د. وحيد ، اللغة العبرية، منشورات كلية الآداب، جامعة تشرين، 2008/ 2009م، ص 98.

العربية والعبرية والسريانية أيقن أنَّ اختلافها من تبديل ألفاظ الناس على طول الأزمان، واختلاف البلدان، ومجاورة الأمم، وأنَّها لغة واحدةٌ في الأصل". [1]

من جهة أخرى هناك بعض المؤشرات التي تدل على أنَّ ضمير الغائب المتصل في اللغة العبرية كان(הוּ):أي هاء مضمومة ضمة طويلة صريحة، ثُمَّ نتيجة تطور ما حُذفت الهاء وبقيت الضمة الطويلة الصريحة(וּ)، والدليل على ذلك وجود بقايا من هذا الضمير بالهاء في بعض نصوص العهد القديم، كما ورد مثلاً في الإصحاح الأول من سفر التكوين 12/1 (לְמִינֵהוּ = لجنسه)، كما نجد ذلك في سفر الخروج 26/22، سفر اللاويين 23/ 13، .....إلخ [2]

وما ذكرناه عن اتصال ضمائر النصب والجر بالفعل ينطبق على اتصال هذه الضمائر بالاسم والحرف والظرف في كل من العربية والعبرية، ولسنا هنا في حاجة إلى التكرار.

ضمير الشأن في اللغتين العربية والعبرية

ضمير الشَّأنِ موضوع نحوي مهم من موضوعات النحو العربي، تحدَّث عنه النُّحاةُ العربُ في غير موضع، ولكنَّه تركَّز في بابي " كان وإنَّ " وأخواتهما بناءً على أنَّ النواسخ تحتاجُ إلى معمولها الأول فإذا فُقِدَ من الجملةِ قدَّرهُ النُّحاةُ مضمراً يُعَبِّرُ عن الشأنِ أو القصَّة. [3]

أمَّا أصل هذه التسمية فتعود للبصريين، ويُعَرَّفُ ضميرُ الشأن بأنَّه يكون في صدر جُمْلَةٍ بَعْدَهُ تفسِّر دلالته وتوضِّحُ المرادَ منه ومعناها معناه. [4] وعلى الرغم من كثرة ما تَضَمَّنَ القرآنُ الكريمُ والشعرُ القديمُ من استعمالٍ لضمير الشَّأن، فإنَّ الملاحظ في لغتنا الحديثة اقتصارُ استعماله على تعبيرات قليلة في أشكال خاصَّة من مجالات استخدام

([1]) ـ يُنظر : عبد التواب، د. رمضان، فصول في فقه العربية، الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الخامسة، 1418هـ/ 1997م، ص 44.

([2]) ـ يُنظر : عبد المجيد، محمد بحر، بين العربية ولهجاتها والعبرية، ص 102،101.

([3]) ـ يُنظر: جبر، محمد عبد الله، الضمائر في اللغة العربية، ص 141.

([4]) ـ يُنظر: حسن، د. عباس، **النحو الوافي**، نشر: دار المعارف، مصر، الطبعة الثالثة،1968م، 1/ 252، الهامش.

اللغة مع حرف واحد هو (إنَّ)، حتى إنَّ استعماله ـ كما يقول الدكتور محمد عبد الله جبر ـ انحصر في صيغ المُحَرَّرَات الرسميّة فنجد في بدايتها: إنَّه في كذا وقع كذا وكذا.[1]

أمَّا الدافع المعنوي لاستخدام هذا النوع من الأسلوب فقد وضَّحه ابن يعيش في قوله: " وعادةُ العرب أنْ تصدِّرَ قبل الجملة بضمير مرفوع ويقع بعده جملة تفسِّره، وتكون في موضع الخبر من ذلك المضمر نحو قولك: هو زيدٌ قائمٌ أي: الأمر: زيدٌ قائمٌ، وإنَّما يفعلون ذلك عند تفخيم الأمر وتعظيمه، وأكثر ما يقع ذلك في الخُطب والمواعظ لما فيها من الوعد والوعيد ثم تتداخل العوامل على تلك القضية...إلخ." [2]

وقد تنبَّه المستشرق الألماني براجشتراسر إلى هذه الطريقة في التعبير وقدَّم تفسيراً لها فقال: " ومن خصائص العربية أنَّ مبتدأ الجملة الاسمية المركبة ربما كان ضميراً للغائب لا علاقة له بالجملة الخبرية ولا راجع إليه فيها، وهذا ما سماه النحويون ضمير الشأن، نحو: (**إنَّه لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ**) [3] وأكثر ذلك بعد (إنَّ) كما هو في هذا المثال، أو بعد (أنَّ)، وفائدة هذا التركيب أنَّه يُمَكِّن الناطقَ من إدخال (إنَّ) و(أنَّ) على الجمل الفعلية نحو: لا يفلح الظالمون، فهذا مما يشهد بمزية العربية.[4]

ففي قوله تعالى: (إنَّهُ لا يُفلِحُ الظَّالِمُونَ): إنَّ: حرف توكيد ونصب مبني على الفتح، لا محلَّ له من الإعراب، والهاء: ضمير الشأن مبنيٌّ على الضم في محل نصب اسم(إنَّ)، لا: حرف نفي،.... وجملة(لا يفلح الظالمون): في محل رفع خبر(إنَّ).

وبالمقارنة مع اللغة العبرية نجد أنَّ اللغة العبرية ذكرت الضمائر بأنواعها دون أنْ تذكر ضمير الشأن صراحةً لكنَّه موجودٌ في أسفار التوراة، وفي كُتُب العبادات، وبعض المعجمات، وبعض الأشعار، وإنْ لم تُصَرِّحْ به كُتُبُ النحو العبري، ومن أمثلة ذلك أنَّه ورد في الإصحاح التاسع عشر من سفر التكوين في قول الإله لموسى عليه لسلام: אֲנִי

([1]) ـ يُنظر: جبر، محمد عبد الله، الضمائر في اللغة العربية، ص 141، 142.

([2]) ـ يُنظر: ابن يعيش، شرح المفصَّل، ج115/3 وما بعدها.

([3]) ـ سورة الأنعام، آية 21.

([4]) ـ يُنظر: برجشتراسر، التطور النحوي للغة العربية، ص 139.

יְהוָה אֱלֹהֵיכֶם = أنا الله إلهكم[1]. فـ(أنا) ضمير الشأن، في محل رفع مبتدأ، وجملة (الله إلهكم) مؤلفة من مبتدأ وخبر في محل رفع خبر لِـ (أنا)، وهي مفسِّرة لضمير الشأن(أنا)، وأتت بعده، ولم يستعمل هذا الضمير إلاَّ في شيء عظيم كما في العربية.

كما ورد في قاموس ابن شوشان : אַתָּה הוּא מַלְכִּי أنتَ هو ملكي[2]. فـ(أنتَ) ضمير الشأن المنفصل في محل رفع مبتدأ، وجملة (هو ملكي) مؤلفة من مبتدأ وخبر، وهي جملة تفسيرية في محل رفع خبر(أنتَ). وورد في كتاب(אֶלֶף מִלִּים = إليف ملِّيم: أي: ألف كلمة) الجزء الثالث في درس بعنوان " من كنز إسرائيل" אַתָּה ה" אֱלֹהֵנוּ מֶלֶךְ הָעוֹלָם = أنتَ إلهُنَا مَلِكُ العَالم[3]. فـ (أنتَ) ضمير الشأن المنفصل في محل رفع مبتدأ، وجملة (الله ملك العالم) تفسيرية مؤلفة من مبتدأ وخبر في محل رفع خبر (أنتَ)، وهذا شبيه بقوله تعالى في سورة النمل، آية(9): (إنَّه أنا الله).

إذاً ضمير الشأن موجود في اللغة العربية بإجماع النحاة، وإنْ اختلفوا في تسميته، وعلى الرغم من كثرة وروده في القرآن الكريم، والشعر العربي القديم، إلاَّ أنَّ استعماله اليوم يظهر بشكل أكبر في صيغ المعاملات الرسمية، كما نجد أنَّه موجودٌ في اللغة العبرية، في أسفار التوراة، وفي كُتُب العبادات، وبعض المعجمات، ولكن لم تذكره كُتُبُ النحو العبري بنصِّه، ولم يُسْتَعْمَل هذا الضمير في كلتا اللغتين: العربية والعبرية إلاَّ في شيء عظيم.

([1]) ـ يُنظر: سفر اللاويين 2/19.

([2]) ـ يُنظر: (תהלה، מר ה)، מִלּוֹן חָדָשׁ אַבְרָהָם אֶבֶן – שׁוֹשָׁן ، הוֹצָאַת (קִרְיַת – סֵפֶר) יְרוּשָׁלַיִם ، 1968، בֶּרֶךְ רִאשׁוֹן ، ע" 263.

([3]) ـ يُنظر: ספר אלף מלים כרך(ג) (מַאוֹצָר יִשְׂרָאֵל) ، (אַהֲרוֹן רוֹזֵן)، הוֹצאת ספרים אחי אסף ، ישׂראל ، תל אביב، 1973، ע" (43). = كتاب ألف كلمة ، من كنز إسرائيل، أهرون روزين، إصدار سفريم آحي آساف، تل أبيب، 1973، ص 43.

خاتمة تتضمن نتائج البحث

أولاً ـ من خلال مقارنة الضمير(أنا) في العربية مع العبرية و بعض اللغات السَّامية الأخرى، يتبيَّن أنَّ هذه اللغات تشترك في الهمزة والنون بالإضافة إلى صوت ثالث هو الألف في: الحبشية، والآرامية، والسبئية، والمعينية، والبابلية، والآشورية، والعربية، وهذا يرجِّحُ مذهب الكوفيين، الذين يرون أنَّ الألف بعد النون من نفس الكلمة.

ثانياً ـ يشير التحليل الصوتي للضمير(نَحْنُ) إلى أنَّ حركةَ النون الأولى هي الفتحة؛ لذا لو بني هذا الضمير على الفتحة، لتكرَّرت الفتحةُ على حرفين متماثلين، يفصلُ بينهما حرفٌ ساكن في سياقٍ صوتي واحد، وبالتالي فضَّلت اللغةُ الابتعاد عن هذا التكرار فلجأت إلى المخالفة بين هاتين الحركتين ببناء هذا الضمير على حركة أخرى، وهي الضمة، ولم تسكِّن الحرفَ الأخيرَ؛ لأنَّ حركةَ الحرفِ الذي قبله(أي الحاء) ساكنة، ففرَّت اللغة من التقاء الساكنين، ولم تَبْنِهِ على الكسر؛ لأنَّ الضمير(نَحْنُ) لا يقع إلاَّ في موضع رفع، والضمةُ هي علامةُ الرفع.

وقد حذت اللغة العبرية حذو اللغة العربية إذ نجد صيغة الضمير(נַחְנוּ)، والبنيةُ الصوتيةُ لهذا الضمير تشبه البنية الصوتية للضمير(نَحْنُ) في اللغة العربية، فالنون الأولى محرَّكة بالفتحة القصيرة (البتاح) كما في العربية، والحاء ـ وهو الحرف الثاني ـ ساكن كما في اللغة العربية أيضاً، والفرق الوحيد بين الصيغتين العربية والعبرية هو أنَّ العبرية حرَّكت النون الثانية بحركة ضم طويلة(الشروق) في الوقت الذي قصَّرت اللغةُ العربيةُ الفصحى حركة الضم إلى الضمة القصيرة (ُ)، بيدَ أنَّ تحريك النون الثانية بالحركة الطويلة نجدها منطوقةً في بعض اللهجات العربية العامية(نَحْنو/ نحنا).

ثالثاً ـ فيما يتعلَّق ببنية الضمير(أَنْتَ) الراجح لدينا أنَّه مكوَّنٌ في العربية من مقطعين هما(an>) + (ta) على اعتبار أنَّ (an>) هي العماد الذي بنيت عليه الضمائر، والتاء المتحركة، وهي المقطع الثاني، هي نفسها المستخدمة في الضمير المتصل للمخاطب المفرد كقولنا(قلتَ). و يؤيِّد هذا الرأي أقوال بعض اللغويين العرب القدامى، وبعض المستشرقين.

رابعاً ــ فيما يتعلَّق بضمير المفرد الغائب(هو) تشير المقارنة بين العربية والعبرية إلى أنَّ أصل هذا الضمير في العربية كان كالعبرية بالهمزة في آخره ، لكنَّ الهمزة حذفت وأُبدلت واواً في زمن قديمٍ أقدم من سائر تخفيفات الهمزة في اللهجات العربية.

خامساً ــ تشير المقارنة إلى اتفاق العربية والعبرية في الضمائر المشتركة بين النصب والجر، إذ تكون هذه الضمائر في محل نصب عندما تتصل بالأفعال، وفي محل جر عندما تتصل بالأسماء، والحروف، والظروف.

سادساً ــ تشير المقارنة إلى اتفاق اللغتين العربية والعبرية فيما يتعلَّق بضمير المخاطبين والمخاطبات، ففي العربية تكون اللاحقة لجمع الذكور كافاً مضمومة وميماً، وللإناث كافاً مضمومة ونوناً مضعَّفةً منتهيةً بالفتح، وكذا الأمر في اللغة العبرية، لكن الخلاف بين اللغتين هو أنَّ الكاف في العربية مضمومة، بينما هي مكسورة في العبرية، بيد أنَّ كسر كاف الخطاب تعرفه بعض اللهجات العربية كما ذكرنا من قبلُ، فقد روي عن بني كلب أنَّهم كانوا يكسرون كاف الخطاب مع الجمع فيقولون مثلاً " عَلَيْكِم" بدلاً من عَلَيْكُم، و" بِكِم" بدلاً من "بِكُم"، وقد سُمِّي هذا بالوكم.

سابعاً ــ تتفق اللغتان العربية والعبرية في بناء الفعل الماضي على السكون عندما تتصل به ضمائر المتكلِّم: المفرد والجمع، وضمائر المخاطب: المفرد والجمع، بنوعيه المذكر والمؤنث، والسبب في البناء على السكون هو منع توالي أربعة مقاطع صوتية قصيرة مفتوحة، وهذا الأمر يرفضه النظام المقطعي للغة سواء أكانت العربية أم العبرية؛ لأنَّه يؤدي إلى صعوبة في النطق، ويشكِّلُ ثقلاً على اللسان.

ثامناً ــ تتفق اللغتان العربية والعبرية على استخدام ضمير الشأن، وإنْ لم تُصَرِّحْ به كُتُبُ النحو العبري، لكنَّه موجودٌ في أسفار التوراة، وفي كُتُب العبادات، وبعض المعجمات.

المصادر والمراجع

- ابن الأنباري، أبو البركات(ت:577هـ)، الإنصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين، تحقيق ودراسة : جودة مبروك محمود مبروك، مراجعة : د. رمضان عبد التواب، نشر: مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الأولى 2002م.
- الأنطاكي، محمد، المحيط في أصوات العربية ونحوها وصرفها، دار الشروق العربي، بيروت، الطبعة الثالثة،1971م.
- أنيس، د. إبراهيم، الأصوات اللغوية، نشر: مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، مصر، الطبعة الخامسة، 1979م
- أيوب، د. عبد الرحمن، دراسات نقدية في النحو العربي، مؤسسة الصباح للنشر والتوزيع، الكويت، (د.ت)
- براجشتراسر، التطوُّر النحوي للغة العربية، ترجمة: رمضان عبد التواب، نشر: مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الثالثة 1417هـ/ 1997م
- بروكلمان، كارل، فقه اللغات السامية، ترجمة: د. رمضان عبد التواب، مطبوعات جامعة الرياض، 1397هـ/1977م
- بكر، السيد يعقوب، دراسات في فقه اللغة العربية، نشر: مكتبة لبنان، بيروت، 1969م
- جبر، محمد عبد الله، الضمائر في اللغة العربية، نشر: دار المعارف، مصر، الطبعة الأولى، 1980م
- الجرح، أحمد خليل، نظرة تحليلية مقارنة عن الضمائر في اللغة العربية، مجلة مجمع اللغة العربية ، القاهرة، (د.ت)، الجزء الثاني والعشرون.
- ابن جني، الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1952 ـ 1956م
- ابن حني، أبو الفتح عثمان(ن: 392هـ)، اللمع في العربية، تحقيق: حامد المؤمن، عالم الكتب، مكتبة النهضة العربية، الطبعة الثانية، 1405هـ/ 1985م

- ابن جني، أبو الفتح عثمان(ت: 392هـ)، كتاب البيان في شرح اللُّمَع، أملاه الشريف عمر بن إبراهيم الكوفي (ت: 529هـ)، دراسة وتحقيق: علاء الدين حموية، دار عمار للنشر والتوزيع، عمان، الطبعة الأولى، 1423هـ/ 2002م
- حسن، د. عباس، **النحو الوافي**، نشر: دار المعارف، مصر، الطبعة الثالثة،1968م.
- أبو خضرة، زيد العابدين، قواعد اللغة العبرية، نشر: كلية الآداب، جامعة القاهرة، 1998م
- الرضي الأستراباذي (ت:688هـ)، شرح الرضي على الكافية، تحقيق: يوسف حسن عمر، منشورات: جامعة قار يونس، بنغازي، ليبيا، الطبعة الثانية، 1996م
- الرضي الأستراباذي (ت:686هـ)، شرح شافية ابن الحاجب، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1402هـ/ 1982م
- زيدان، جرجي، الفلسفة اللغوية والألفاظ العربية، مراجعة وتعليق: الدكتور مراد كامل، نشر: دار الهلال، (د . ت)
- سيبويه، أبو بشر عمرو بن قنبر، الكتاب، تحقيق: عبد السلام هارون، الناشر: مكتبة الخانجي بالقاهرة، 1408هـ/ 1988م.
- السيوطي، جلال الدين (ت: 911هـ)، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، تحقيق وشرح: د. عبد العال سالم مكرم، نشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، 1413هـ/ 1992م
- الشايب، د. فوزي، أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة العربية، عالم الكتب الحديث، إربد، عمان، الطبعة الأولى، 2004م
- الصالح، د. صبحي، دراسات في فقه اللغة، نشر: دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة عشرة، 1379هـ/ 1997.
- صفيه، د. وحيد ، اللغة العبرية، منشورات كلية الآداب، جامعة تشرين، 2008/ 2009م
- الصواف، محمد توفيق، اللغة العبرية، منشورات كلية الآداب ـ جامعة دمشق، 2004 ـ 2005م
- عبد التواب، د. رمضان، التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه، الناشر: مكتبة الخانجي بالقاهرة، الطبعة الثانية، 1410هـ/ 1990م

● عبد التواب، د. مضان، المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، الناشر مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الثالثة، 1417هـ/ 1997م

● عبد التواب، د. رمضان، فصول في فقه العربية، الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الخامسة، 1418هـ/ 1997م

● عبدالله طارق نجم، الضمير نحن (دراسة لغوية في بناء الممثل الصرفي)، جامعة الإمارات العربية المتحدة، مجلة اللسان العربي، العدد 35، 1991م.

● عبد المجيد، محمد بحر، بين العربية ولهجاتها والعبرية، نشر: جامعة عين شمس، 1977.

● عمايرة، إسماعيل أحمد، ظاهرة التأنيث بين اللغة العربية واللغات السامية ـ دراسة لغوية تأصيلية، نشر: مركز الكتب العلمي، عمان، الأردن، الطبعة الأولى 1986م

● عيد، محمد، النحو المصفَّى، نشر: مكتبة الشباب، القاهرة، مصر، 1980

● فليش، هنري، العربية الفصحى نحو بناء لغوي جديد، تعريب وتحقيق: عبد الصبور شاهين، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، 1966م

● كمال، د. ربحي، دروس اللغة العبرية، منشورات جامعة دمشق، الطبعة السابعة، 2007/2006م

● المخزومي، د. مهدي، مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو، نشر: شركة مكتبة ومطبعة البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة الثانية، 1377هـ/ 1985م

● مرعي، عبد القادر، التشكيل الصوتي ، جامعة مؤتة، الأردن، الطبعة الأولى، 2002م

● النجار، أشواق محمد، دلالة اللواصق التصريفية في اللغة العربية، عمان، الأردن، دار دجلة، الطبعة الأولى، 2005

● ابن هشام الأنصاري، جمال الدين بن يوسف بن أحمد بن عبد الله (ت: 761هـ)، شرح شذور الذهب، نشر: دار الفكر، بيروت، لبنان، (د.ت)

● هلال، عبد الغفار حامد، اللهجات العربية نشأة وتطوُّراً، نشر مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الثانية، 1414هـ/ 1993م

- ولفنسون، إسرائيل، تاريخ اللغات السامية، نشر: مطبعة الاعتماد، القاهرة، مصر، الطبعة الأولى، 1348هـ/ 1929م
- ابن يعيش، شرح المفصّل، عالم الكتب، بيروت، (د. ت)
- يعقوب، د. أميل بديع، موسوعة النحو والصرف والإعراب، نشر: دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1384هـ/2005
- (תהלה، מר ה)، מִלּוֹן חָדָשׁ אַבְרָהָם אֶבֶן - שׁוֹשָׁן ، הוֹצָאַת (קִרְיַת – סֵפֶר) יְרוּשָׁלַיִם ، 1968، כֶּרֶךְ רִאשׁוֹן.
- ספר אלף מלים כרך(ג) (מַאוֹצָר יִשְׂרָאֵל) ، (אַהֲרוֹן רוֹזֵן)، הוֹצאת ספרים אחי אסף ، ישׂראל ، תל אביב، 1973، = كتاب ألف كلمة ، من كنز إسرائيل، أهرون روزين، إصدار سفريم آحي آساف، تل أبيب، 1973.